الثورة
فى مرحلتها الأولى

فاتحة الثورة العرابية

كتب عرابى العريضة وتلاها على الحاضرين، فوافقوا عليها ووقع عليها كما وقع معه الاميرالاى على فهمى بك والاميرالاى عبد العال حلمى بك، ووضع المجتمعون الخطط الكفيلة بالمحافظة على النظام عند قيامهم بما عتزموه لمحافظة على حياتهم إذا أرادت الحكومة أن تبطش بهم.

يعد هذا الإجتماع فاتحة الثورة العرابية، لأن تعاهد كبار الضباط على مقاومة تنفيذ الأوامر العسكرية، والجهر بمنانصبه وزير الحربة العداء، والمطالبة بعزله، واختيارهم عرابى رئيسا لهم فى هذه الحركة، وحلفهم اليمين على التضامن واياه، ومفاداته ومفاداة الوطن بأرواحهم.. كل ذلك معناه التمرد والخروج على النظام وتحدى الحكومة والاستهانة بهيبتها وقوتها، أو بعبارة أخرى هى الثورة على الحكومة.

وفى غداة ذلك اليوم - أى فى ١٧ يناير سنة ١٨٨١ - ذهب الضباط الكبار الثلاثة، أحمد عرابى بك، وعلى فهمى بك، وعبد العال حلمى بك إلى وزارة الداخلية، وقدموا العريضة إلى خليل يكن باشا وكيل الوزارة، وطلبوا إليه تقديمها إلى رياض باشا.. فذهب إليه ثم عاد وأخبرهم بأن رياض باشا يطلب أن يقابلوه، فلما قابلوه وعدهم بالنظر فى الأمر. ولم تبد منه علامات السخط والغضب.

وبعد أسبوع من هذه المقابلة ذهبوا إلى داره وقابلوه ثانية وسألوه عما تم فى أمر العريضة، فأجابهم متهددا متوعدا وقال لهم أن تقديم مثل هذه العريضة يؤدى إلى الهلاك..

فلم يتراجع عرابى وصاحياه أمام هذا التمهيد، وأصروا على طلباتهم، وأبان عرابى أن ما يطلبونه هو حق وعدل، وانتهى الحديث بأن أخبرهم بأنه سينظر في الأمر، انصرفوا على ذلك.

واقعة قصر النيل

اجتمع مجلس الوزراء يوم ٣١ يناير سنة ١٨٨١ فى سراى عابدين برئاسة الخديو، وبحث فى أمر هذه العريضة.. فاستقر الرأى على وجوب محاكمة الضباط الثلاثة والقبض عليهم لتقديمهم إلى المجلس العسكرى. وأخذ عثمان باشا ما يخل بالأمن. ولم يعرف الضباط الثلاثة ما قرره مجلس الوزراء فى شأنهم، ولم يخطرهم عثمان باشا رفقى بأمر القبض عليهم.. بل نفذه بطريقة ملتوية لا تدل على شعور الحكومة بهيبتها وسلطانها، وذلك أنه تحايل عليهم وأرسل إليهم فى مساء ذلك اليوم تذاكر يدعوهم فيها إلى الحضور لديون الوزارة - بقصر النيل - صباح اليوم التالى بحجة المداولة معهم فى ترتيب الاحتفال بزفاف الأمير جميلة هانم شقيقة الخديو..

فأحس عرابى ورفيقاه المكيدة المدبرة لهم، لأنه لم تجر العادة بأن يستدعى وزير الحربية ثلاثة من أمراء الألايات للمذاكرة فى مثل هذا الشأن.. فاستعدوا للدفاع عن حياتهم، واتفقوا على أن يلبوا الدعوة وأن يذهبوا إلى قصر النيل، على أن يصحبهم بعض ضباط الألاى الأول - ألاى الحرس، وكان مقره بقشلاق عابدين - كعيون يرقبون الحالة عن بعد، لكى يبادروا إلى إبلاغ أخوانهم بما يقع إذا أصاب الضابط الثلاثة مكروه.

وصل عرابى وصاحباه إلى قصر النيل، فألفوه غاصا بكبار الضباط الموالين للحكومة. وكان المجلس العسكرى منعقدا، فتلا على الضباط الثلاثة

الأمر القاضى باعتقالهم وكان ذلك حوالى الظهر، وسيقوا إلى قاعة السجن بقصر النيل، بين صفين من الضباط الشراكسة. وتقاذفت عليهم ألفاظ الشماتة والسباب، ووقف عليهم الحرس وبأيديهم السيوف مسلولة. وعين عثمان باشا رفقى ثلاثة ضباط بدلهم على ألاياتهم الثلاثة.

فلما علم عيون الألاى الأول باعتقال الضباط الثلاثة أسرعوا بالعودة إلى مركز الألاى بقشلاف عابدين، وأنهو إلى ضباطه ما وقع.. فهاج الضباط جميعا، واعتزموا انقاذ إخوانهم، ونهض البكباشى محمد عبيد - بطل واقعة التل الكبير - مناديا الجند النداء العسكرى بالإحتشاد والتأهب للمسير. فاعترضه قائم مقام الألاى خورشيد بك بسمى، وسأله عن سبب هذا النداء، فلم يجبه بكلمة. وأمر بعض الجنود باعتقاله فى إحدى قاعات القشلاف. واصطف الجنود بأسلحتهم، وساروا بقيادة محمد عبيد إلى قصر النيل حيث الضباط المعتقلون.

وبينا كان الجند يستعدون للخروج من القشلاف، علم الخديو بهذه الحركة، وشاهدها بنفسه من سلاملك السراى المقابل للقشلاف، فأمر الفريق راشد باشا حسنى المقابل للقشلاف، فأمر الفريق راشد باشا حسنى سر ياوره بأن يتوجه إليهم لوقف الحركة، فلم تجد هذه الوساطة نفعا، فاستدعى الخديو الضباط فلم يحضر أحد.

سار جنود الألاى الأول من قشلاف عابدين إلى قصر النيل.. فلما بلغوه وضع البكباشى محمد عبيد الحصار حوله، وأمر بقية الجند بالهجوم على الديوان، فهجم الجنود حاملين بنادقهم وفى أطرافها الرماح "السنكى"، واقتحموا الديوان صائحين صاخبين، فوقع الرعب فى نفوس القواد والضباط

الموجـودين بالديوان، وفى مقـدمتـهم عثـمان باشا رفـقى - وزير الحربـية - وبادروا إلى الفرار، أما عـثمان رفقى فقد فر من إحـدى النوافذ إلى "ورشة" الترزية يطـلب النجاة لنفسـه، وأخذ الجند يبـحثون عن الضـباط المعـتقلين، وتفرقوا لذلك فى جـميع الغرف والجهات، وكسـروا الأبواب والشبابيك وكل ما عاقهم عن السير، إلى أن وصلوا إلى مقـر الضباط الثلاثة، ففك البكباشى محمد عبيد سراحهم.

وخرج الضباط الثلاثة من قصر النيل ظافرين، وساروا يحيط بهم الجند إلى قشلاق الألاى الأول بميدان عابدين. وكان عـرابى وصحبه على عهد مع ضباط الألايات الثلاثة أن يتاضـمنوا معهم، ويبادورا إلى نجدتهم إذا حل بهم مكروه ولم يكد يعلم ألاى طره، الذى كان على رأسه عـبد العال حلمى، بما حل بعرابى وصاحبـه حتى هب لنجدتهم.. فلما حضـر الأميرالاى الجديد، خورشد بك نعمـان، ليتسلم الألاى يصحبه خورشـد باشا طاهر وأحمد بك حمـدى ياور الخيـدوى، بادر البكبـاشى خضر أفـندى خضر إلـى أعتقـالهم ووضعهم تحت الحفظ فى غـرفة القائم مقام فرج بك الذكر واعـتقله معهم.. ثم أمر بتـوزيع الأسلحة والذخـيرة على الجنود، وسـار بهم إلى قصـر النيل لإنقاذ الضباط الثلاثة. وقد شعر ناظر مـحطة طره بهذه الحركة فأرسل تلغرافا إلى الخديو ينبئه بها، فأوفد الخديو أحد ياورانه لمقابلة خضر وأخباره بما تم من الإفراج عن الضبـاط الثلاثة، واقناعه بالرجوع من حـيث أتى وإطلاق سراح الضباط الذين سجنهم بطره.. فلم يلق الياور إليـه أذنا صاغية، واستمر الجند سائرين بقيادة خضر أفندى خضر، وسار بهم إلى ميدان عابدين لكى يشاهدوا الضباط الزعمـاء بعد الإفراج عنهم فلما وصلوا إلى ميدان عـابدين، استقبله

الألاى الأول بالتعظيم العسكرى وعزف الموسيقى، وتقدم ضباط ألاى طره إلى عرابى وصاحبيه فهنؤوهم بالسلامة، وتعانقوا فرحين مستبشرين.. واحتشد الناس فى الميدان لمشاهدة هذا المنظر الذى لم يألفوه من قبل. وعندئذ وقف عرابى خطيبا بأعلى صوته، وأثنى على إخلاص الضباط والجند لإنقاذه وإنقاذ صاحبيه من السجن.

أول انتصار لعرابى

كان احتشاد جنود الألايين بأسلحتهم فى ميدان عابدين كافيا لإيقاع الاضطراب فى نفس الخديو وحاشيته، وقد استدعى وزراءه وخاصة رجاله حين بلغه نبأ ما حدث فى قصر النيل، وتشاورا فيما يصح عمله إزاء هذه الحركة.. فأشار محمود سامى باشا البارودى - وكان وقتئذ وزيرا للأوقاف - بإجابة طلبات الجند، وقال إنى أراهم مطيعين بدليل هتافهم باسم الخديو. ولم ير الخديو بدا من الأذعان، واتفق الرأى على أن يذهب البارودى باشا يحصبه خيرى باشا ورئيس الديوان الخديوى ليقابلا عرابى وصاحبيه ويتعرفا ما يطلبون، فقابلاهم وعرفا منهم أنهم يطلبون عزل عثمان باشا رفقى، ويلتمسون العفو عنهم لأن عثمان باشا هوالسبب فيما حدث. فعاد البارودى وخيرى باشا إلى الخديو وعرضا عليه حديثهما مع الثلاثة الضباط، فأمر باستدعائهم فحضروا والتمسوا منه العفو فعفا عنهم.

واستقال عثمان باشا رفقى، وأصدر الخديو أمره بإسناد وزارة الحربية إلى البارودى مع بقاء وزارة الأوقاف فى عهدته.. فتهم بهذا التعيين ثلاثة انتصارات نالها الحزب العسكرى فى يوم واحد: أولها إطلاق سراح الضباط الثلاثة، وثانيها عزل عثمان باشا رفقى كان خصما لهم، ثم إسناد وزارة

الحربية إلى نصير لهم، ومن هنا توطدت صلات الثقة بين البارودى والضباط، إذ برهن على أنه كان مؤيدا لهم داخل مجلس الوزراء، وظل عضدا لهم وموضع ثقتهم طوال عهد الثورة

عرابى والقناصل

وفيما كان عرابى على رأس هذه الحركة أرسل إلى قنصلى إنجلترا وفرنسا كتابا يسوغ فيه عمله ويبسط فيه شكواه من تصرف الحكومة. وكان البارون "دى رنج" قنصل فرنسا العام يعطف على مطالب الضباط، وينكر على وزير الحربية تصرفاته. وقد عرف فى الجملة بالعواطف الطيبة نحو مصر ومناواته المطامع الإنجليزية فيها.

"وقد نقم الخديو ورياض باشا من البارون "دى رنج" عطفه على الضباط الوطنيين وتأييده إياهم.. فأرسل الخديو باتفاقه مع رياض إلى المسيو جول جريفى رئيس جمهورية فرنسا رسالة يشكو فيها مسلك القنصل العام. وكانت فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٨١ ثم نقله من منصبه، فغادر مصر على كره من الضباط الوطنيين فى أول مارس سنة ١٨٨١، وكان نقله انتصارا لوزارة النقل لأنهم كانوا يرون فى البارون "دى رنج" عاملا مناوئا لهم ومؤيدا للحركة الوطنية فى مصر.

وعين بدله المسيو سنكفكس معتمدا وقنصلا عاما لفرنسا فى مصر، فحضر إلى القاهرة وقد أوراق اعتماده إلى الخديو فى ٢٦ يولية سنة ١٨٨١ بسراى رأس التين

أراد الخديو بعد انقضاء بضعة أيام على واقعة قصر النيل أن يجتذب إليه قلوب ضباط الجيش، ويزيل تأثير الحادثة من نفوسهم.. فاستدعى إلى سراى

عابدين يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٨١ ضباط ألايات العاصمة من رتبة بكباشى فما فوقهم، وحضر الإجتماع وزير الحربية "البارودى" وكبار رؤساء الجيش من رتبة فريق ولواء. فلما انتظم عقدهم، القى الخديو فيهم خطبة ضمنها العفو عما حدث يوم أول فبراير، وأكد لهم أنه لم يبق فى نفسه أثر منها، وطلب إليهم إحترام النظام وطاعة الحكومة.

فقابل الضباط هذه الخطبة بإظهار الولاء للخديو والامتثال للأوامر والقوانين والنظامات العسكرية، وانصرفوا داعين شاكرين.

وكان الظن أن مثل هذه الخطبة ترد النظام إلى الجيش، وتدعو الضباط إلى الاطمئنان إلى نيات الحكومة نحوهم.. إذ لم يكن خافيا أنهم كانوا يتوجسون شرا من ناحيتها، ويتوقعون أن تتربص بهم الدوائر للاقتصاص منهم إذا أمكنتها الفرصة. وبذلك تزداد هوة التنافر اتساعا بينهم إلى نفوسهم، ويدعوهم إلى الثقة بمقاصد الحكومة، ولكن الحوادث جاءت على خلاف ما كان يظن ويتوقع.

بعد واقعة قصر النيل

لم يطمئن عرابى وصحبه على مركزهم وعلى حياتهم بعد واقعة قصر النيل.. فالبرغم من عزل عثمان باشا رفقى، وتعيين وزير حربية يعطف عليهم ويؤيدهم، فانهم كانوا يخشون على حياتهم أن تمتد إليها يد الاغتيال انتقاما مما فعلوا، وأقاموا لهم حرسا من المخلصين لأشخاصهم، وزادوا من عدد الخفراء لحراسة منازلهم ليلا، واختاروا ضباطا من خاصة أوليائهم لنقل المراسلات السرية بينهم، وصاروا إذا انتقلوا من مراكز ألاياتهم إلى بيوتهم اصطحب كل منهم حرسا من العساكر المسلحين للمحافظة على حياتهم

يلازمونهم حتى يعودوا إلى مراكزهم وأكثروا من الإجتماعات السرية، يعقدونها ليلا فى منزل عرابى، ويدعون إليها من يثقون بإخلاصهم من الضباط للتشاور فيما يفعلون، وتنفيذ ما يستقر عليه رأيهم.

وقد أسفرت هذه الإجتماعات عن تقديم عريضة من جميع الألايات بالمطالب الآتية:

أولا – صرف نقود بدل التعيينات التى تؤخذ من مخاون الجهادية وتباع للألايات، وذلك حفظا لحقوق العساكر من التلاعب بها والخيانة التى كانت فاشية فى المأمورين ورؤسائهم، وخصوصا فى صنف المسلى "السمن"، فإنه كان يصرف للألايات من الشحم الذى يصنع فى تريستا، ويأتى فى براميل باسم مسلى. وكان كرية الطعم والرائحة لا يصلح للطعام، ولكن لم يكن أحد ليجسر على المجاهرة بالحقيقة، لما للتجار المتعهدين بتوريده من المداخلة مع الرؤساء.

ثانيا – عدم استقطاع مرتبات الضباط والعسكار فى مدة الأجازات التى تعطى لهم إذا لم تتجاوز ثلاثين يوما، وإذا تجاوزت هذه المدة يستقطع نصفها فقط.

ثالثا – يؤخذ من الضباط والعساكر نصف الأجرة فى السكك الحديدية.

رابعا – أبطال ورشة الترزية لما فيها من التلاعب والغبن الفاحش وصرف أثمان الملابس نقدا لتشترى من الخارج بمعرفة الأيلايات.

خامسا – عدم جواز الترقى للعسكرية ما لم يسن لذلك قانون خاص يجرى العمل على مقتضاه.

سادسا - زيادة مرتبات جميع الضباط والعساكر بالنسبة لارتفاع أسعار الحاجات عن قيمتها من منذ ثمانين سنة، أى حين إنشاء العسكرية وترتيب تلك المرتبات الدينية.

سابعا - سن قانون يشمل حالات الترقى والتقاعد والمكافآت والإجازات وتسوية معاش الاستيداع.

ثامنا - إرجاع أحمد بك عبد الغفار قائم مقام السوارى الذى فضله عثمان باشا رفقى من الخدمة من غير محاكمة ولا سبب يوجب ذلك.

أجابت الحكومة معظم هذه الطلبات.. فعنيت وزارة الحربية بإصلاح مأكل الجيش، وصار يطبخ لهم فى معظم الوجبات اللحم وأنواع الخضر والأرز واللبن والحلوى، بدلا من العدس والفول اللذين كانا طعامهم الدائم، وصار يعطى للجنود السودانيين ضراب "البوظة" المصنوعة من الشعير كمألوف عادتهم، وتصرف لأولادهم ونسائهم جرايات زيادة عن جرايات الجند.

وعرض محمود سامى باشا البارودى على مجلس الوزراء وجوب سن القوانين اللازمة لإصلاح حالة الجند، وزيادة اجراؤه من التعديلات والإصلاحات فى النظم والقوانين العسكرية، ورفع رياض باشا إلى الخديو فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٨١ تقريرا بذلك أشار فيه إلى طلب ناظر الجهادية - وزير الحربية - زيادة رواتب الضباط والجند.

وبناء على هذا التقرير صدر مرسومان بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ (٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٩٨هـ) يقضى الأول بزيادة رواتب الضباط والجنود.

ويقضى المرسوم الثانى بتأليف لجنة (قومسيون) برئاسة وزير الحربية والبحرية للنظر والبحث فى القوانين والنظم العسكرية المعمول بها وقتئذ، وإدخال كل ما ترى لزومه من التعديلات والإصلاحات فيها وما ينبغى إجراءه من الإصلاح فى المدارس الحربية وإعداد مشروع قانون بشروط الدخول فى سلك الضباط وتعيينهم وترقيتهم واستيداعهم ورفتهم وتقاعدهم، وتسوية حالة الضباط المحالين إلى الاستيداع.

فأخذت اللجنة توالى الإجتماع لإعداد القوانين العسكرية الجديدة، وهى القوانين التى صدرت فى عهد وزارة شريف باشا كما سيجئ بيانه.

الاحتفال بزيادة الرواتب

أقام محمود سامى باشا البارودى بعد صدور هذين المرسومين حفلة فى ديوان الجهادية - وزارة الحربية - بقصر النيل ابتهاجا بزيادة رواتب الضباط والجند وتأليف لجنة إصلاح النظم العسكرية، وكأنما أراد أن يعلن عن أول ثمرة لتقلده وزارة الحربية ليكسب ثقة الضباط والجند، ويزداد بهم نفوذوا وسلطانا.

استكملت هذه الحفلة مظاهر الرونق والفخامة، إذ أعد فيها الباردى مأدبة فاخرة دعا إليها الوزراء وعلى رأسهم رياض باشا، ثم المراقبين الأوربيين، وضباط الجيش.. ولما تكامل جمعهم جلسوا إلى موائد الطعام، فتناولوا المأكل الفاخرة.

ثم قام محمود سامى باشا البارودى، وألقى خطبة نوه فيها بفضل الحكومة، وأعرب عن فضل الخديو فيما تقرر من الإصلاحات، ودعا الضباط إلى الخضوع لأوامر الخضرة الخديوية. ولعله أراد بهذه الخطبة أن يزيل من

الأذهان تأثير التمرد الذى وقع من الجيش يوم أول فبراير سنة ١٨٨١، وهاك نص الخطبة:

هذه ليلة أنس دعتنا إلى الإجماع فيها دواعى المحبة والائتلاف، تذكارا لمآثر الحكومة الخديوية الجليلة التى وجهت عزيمتها إلى إصلاح أحوال الأهالى جميعا، وتعميم العدل فيهم وإيصال كل إلى ما يستحق، وقد رأينا فى هذا الزمن القليل من عهد ما استلم خديوينا المعظم زمام الحكومة تغييرا مهما إذ تبدل فيه البلاد إلى نجاحها تقدما سريعا، والنقم بالنعم، وتقدمت فيه البلاد إلى نجاحها تقدما سريعا، وما ذلك إلا من حسن مقاصد هذا الجناب وطهارة سجاياه، خصوصا وأنه اصطفى لمساعدته على مقاصده الجليلة رجلا غيورا عالى الهمة زكى النفس، وهو حضرة دولتلو رياض باشا. فلم يأل جهدا فى العمل، ولم يقصر فى تذليل المصاعب باتحاده مع حضرات رفقائه الكرام حتى وصلنا إلى هذه الغابة التى لا ينكر أحد حسنها. ولا ريب فى أن هذه نعم يجب علينا استبقاؤها وحفظها والاستزادة منها، ولن يكون ذلك إلا إذا قرناها بالشكر عليها، فقد قالوا: الشكر سياج النعم، وحقيقة الشكر أن يكون جميعنا مخلصا للحكومة فى خدمته قائما بواجباته لها، معضدا لجميع مقاصدها، خاضعا لأوامر الحضرة الخديوية التى هى السبب مقاصدها، خاضعا لأوامر الحضرة الخديوية التى هى السبب فى هذا الخير العظيم، وعلى ذلك لابد أن ننادى جميعا: فليحى الجناب الخديو أطال الله بقاءه"

ثم قام بعده رياض باشا وارتجل خطابا وجهه إلى الضباط، جاء فيه:

"هذه ليلة سرور، تجلى فيها الصدق والإخلاص" واجتمعت فيها القلوب على قصد أداء الشكر للجناب الخديوى، غير أن تذكار محامده ومآثره الجليلة يجعل الشكر موضعا يقع موقع الفرض الشرعى.

"إن محسنات العدل ووجوه الإصلاح التى امتازت بها مدة حكم الجناب الخديوى فى هذه الأوطان أمر معلوم، يعد تعدادها من قبيل تحصيل حاصل. . وأنتم معاشر الضباط تعملون ذلك حق العلم، فلا حاجة إلى بسط الكلام فيه، ومن أراد توضيح الحقيقة فليقارن بين الحالة الحاضرة وما قبلها بسنتين يظهر له الفرق الجلى والبون التام ما بين الحالتين وإن ضباط العسكرية وهم من أشرف أعضاء الحكومة، ممن شملتهم هذه المحسنات وعمتهم فوائد الإصلاح. ومن أهم وجوهه التى شهدناها فى عصر الخديو الجليل تقرير الأمن على الأرواح والأموال، وحفظ الحقوق الشرعية وآداؤها لأربابها، ويلزم لدوام ذلك ثبوت الطمأنينة ورسوخ قاعدة الراحة العمومية، ومدار ذلك وأساسه انتظام حال العسكرية.

"وقد رأيتم من أنفسكم أن حقوقكم وصلت إليكم، وأنتم روح الضبط والربط، وأنتم قوة الحاكم وآلته المنفذة، فاذ بدأ الحاكم يحسن الالتفات ونظر إليكم بعين الرأفة والرحمة، فعليكم وجوبا كما أخذتم مالكم، أن تؤدوا ما عليكم، وهو طاعة ولى الأمر الذى هو السبب الأعظم فى جميع هذه الخيرات التى شملتنا، بل هو الذى أنعش فى هذا الوطن روح الحياة بعد أن أشرف على الموت والدمار، فعليكم أن تكونوا دائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أحكامه والمحافظة على أوامره ونواميسه العادلة، وعلينا جميعا أن نبتهل إلى الله تعالى بدوام بقائه وتأييد عزه وأن ينادى لسان الصدق منا: فليعش الجناب الخديوى"

خطبة عرابى بك

وبعد أن جلس رياض باشا قام أحمد عرابك بك (باشا) وأجاب بتحقيق

ما قاله وزير الحربية ورئيس الوزراء، وبين ما وصلت إليه الحكومة فى ذلك العهد من التقدم، ناسبا جميع ذلك إلى همة الجناب الخديوى واستقامة وزرائه وغيرتهم على المصالح. . ثم قال أننا على الدوام مطيعون لأوامره السامية، ونحن آلته المنفذة الحاضرة بين يديه يديرها كيف يشاء، وفى أى وقت أراد، وأننا بلسان واحد نسأل الله تعالى أن يحفظه لنا ويطيل بقاءه ويعززه برجال حكومته ويمتع البلاد بأحكامة العادلة آمين، وكلنا بلسان واحد نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الحضرة الخديوية، ويوفق رجال حكومته الكرام لإصلاح البلاد وإسعاد العباد".

عظمت مكانة عرابى فى نفوس الضباط والجند بعد انتصاره فى واقعة قصر النيل، وزاد من التفافهم حوله أنه تقدم بطلباته سالفة الذكر إلى وزير الحربية الجديد (البارودى) واستجاب البارودى إلى طلباته.

وبذل البارودى جهدا موفقا فى إعادة التفاهم بين الحكومة والضباط، على أن هذا التفاهم لم يدم طويلا. . ولم تلبث مظاهر الخلاف وبوادر الشقاق أن باعدت بين الفريقين، وأخذ كل فريق يسئ الظن بالآخر ويتوجس خيفة من مقاصده وتدابيره.

استقالة البارودى

وقعت فى شهر يوليه سنة ١٨٨١ حادثة بالإسكندرية أعادت القطيعة بين الضباط والحكومة. . وذلك أن الخديو توفيق كان يقضى صيف سنة ١٨٨١ بالإسكندرية. وقد حدث يوم ٢٥ يوليه أن عربة لأحد تجار الثغر يقودها سائق أوروبى كانت تسير فى الشارع المؤدى إلى سراى رأس التين، فصدمت جلديا من فرقة المدفعية - الطوبجية - وأصابته إصابة قاتلة، نقل

على أثرها إلى المستشفى وتوفى هناك. وكان الخديو وقتئذ باسراى، فارتأى رفاق القتيل أن يحملوه إليها، ويلتمسوا من الخديو الاهتمام بمعاقبة الجانى

وكان هذا العمل بالغا فى الخروج على النظام، لأن مثل هذه الحادثة لا ترفع إلى الخديو، وليس من اللائق بمقامه أن يذهب الجنود إلى قصره حاملين القتيل يعرضونه عليه، ويطلبون منه معاقبة الجانى، إذ أن السراى الخديوية ليست مخفر بوليس تحمل إليه جثث القتلى. وقد دخل الجند السراى فى جلبة وضجة، وصاحوا طالبين معاقبة الجانى.. فغضب الخديو من الجند، وأمر بطردهم، فانصرفوا، وبعد أيام صدر الأمر بتشكيل مجلس عسكرى لمحاكمتهم، فحوكموا وصدرت عليهم أحكام بالغة منتهى القسوة، فقد حكم على الجندى الذى دعا رفاقه إلى حمل القتيل إلى السراى بالأشغال الشاقة المؤبدة. وحكم على رفاقة وهم ثمانية بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات وبأن يقضوا مدة العقوبة بليمان الخرطوم، ثم يكونوا بعد ذلك من أفراد الجيش بالأقطار السوادنية.. وأقر الخديو والحكم ونفذ فى المحكوم عليهم وسيقوا إلى السويس ومنها إلى سواكن ثم إلى الخرطوم.

كان لهذا الحكم الشديد وقع أليم فى النفوس، وكتب عبد العال بك حلمى تقريرا إلى وزير الحربية "البارودى" يشكو فيه من قسوته، وذكر بعض الحوادث التى تجرى فى ألايه، والدسائس التى لا تنقطع.

رفع البارودى هذا التقرير إلى الخديو، فاستاء من ذلك، وعده تطاولا على مقامه وغضب على البارودى، واعتزم اقصاءه عن وزارة الحربية، واستدعى الوزراء بالتلغراف من القاهرة.. فوفدوا إلى الإسكندرية واجتمعوا بالخديو فى سراى رأس التين، وتداولوا فى حادثة الجندى القتيل، وما فعل

رفاقه، وقرر الخديو أن بقاء البارودى الحربية هو منشأ هذه الفوضى، ولا سبيل إلى إعادة النظام إلا بعزله.

فلم ير البارودى بدا من أن يقدم استقالته، فقبلت فى الحال، عين الخديو صهره داود باشا يكن بدله، ثم أعقب ذلك صدور أمر آخر بعزل أحمد باشا الدره مللى محافظ العاصمة، لما كان معروفا عنه من مشايعته لحركة عرابى وتعيين عبد القادر باشا حلمى مكانه، وكان مكروها من العرابيين.

قابل عرابى وصحبه هذا التغيير بالإنزعاج والتبرم. وتوجسوا خيفة من عواقب أبعاد البارودى الذى كانوا يطمئنون إليه، ويركنون إلى إخلاصه، وتوقعوا شرا مستطيرا من تعيين صهر الخديو على رأس الوزارة التى تملك ناصية الجيش، على أنهم كتموا شعورهم، وأخذوا يتدبرون ما يجب عليهم عمله للمحافظة على حياتهم بعد هذا التغيير. وذهبوا إلى داود باشا فى ديوان الجهادية، يهنئونه بمنصبه الجديد، وطلبوا إليه أن يجعل فاتحة أعماله إصدار قوانين الإصلاحات العسكرية التى وضعت فى عهد البارودى، فوعدهم بذلك..

ولكنه لم يلبث أن أصدر منشورا أبلغه جميع الألايات نهى فيه الضباط عن اجتماعهم فى المنازل أو فى أحياء المدينة، ونبه على عدم ترك مراكزالألايات ليلا أو نهارا، وأنذرهم بأنه إذا وجد اثنان منهم أو أكثر مجتمعين معا فى المدينة فسيجرى ضبطهم بيد رجال الضبطية واعتقالهم، وأن كل من تكلم منهم مع آخر فى الأمور السياسية يسجن بالقعلة، وشدد على الضباط فى اتباع هذه الأوامر وأخذ يراقب تنفيذها، فيذهب بنفسه ليلا إلى

مراكز الألايات ليتحقق من تنفيذ أوامره، وبث عبد القادر باشا حلمى محافظ العاصمة الجديد العيون والجواسيس على منازل رؤساء الحزب العسكرى، وخاصة عرابى وعبد العال وأحمد عبد الغفار، لمنع اجتماعاتهم فارتاعوا من ذلك ولزموا ألا يأتهم كان الغرض من صدور هذه الأوامر تفريق اجتماعات لتبادلهم الآراء والأفكار، وتعاهدهم على التضامن واتحاد الكلمة واتفاقهم على الخطط التى يتبعونها لحفظ كيانهم وتحقيق مطالبهم. . فداود باشا يكن قد حقق بهذه الأوامر المخاوف التى ساورت عرابى وصحبه من تعيينه وزيرا للحربية بدلا من البارودى، واتفق الضباط على رفض تنفيذ هذه الأوامر.

* * *